

بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب، وقال في حجة الوداع: «إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً»، وخرج وفي أوائل صفر سنة 11 هـ خرج النبي ﷺ إلى أحد، وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا»، ليلة - في منتصفها - إلى البقيع فاستغفر لهم، ليهن لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة 11 هـ - وكان يوم الإثنين - شهد رسول الله وبشرهم قائلاً: «إنا بكم للاحقون». ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع - وهو في الطريق - أخذ صداع في رأسه، حتى إنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التي وقد صلى النبي ﷺ بالناس وهو مريض 11 يوماً، يمشي بين الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب، عاصباً تعصب بها رأسه. وكانت عائشة تقرأ بالمعوذات والأدعية التي حفظتها من رسول الله ﷺ، فكانت تنفث على رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتها، وعند ذلك أحس بخفة، فدخل المسجد - وهو معصوب الرأس - حتى جلس على المنبر، وخطب نفسه، فاشتد به الوجع وغمي، الناس - والناس مجتمعون حوله - فقال: اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» - وفي رواية «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور وعرض نفسه للقصاص قائلاً: «من كنت جلدت له ظهراً فهذا أنبيائهم مساجد» (1) - وقال: «لا تتخذوا قبوري وثناً يعبد» (2). ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه». وعاد لمقالته الأولى في الشحاء وغيرها، ثم أوصى بالأنصار قائلاً: وتجاوزوا عن مسيئتهم» وفي رواية أنه قال: «إن الناس يكثرون، حتى يكونوا كالمح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم، فاختر ما عنده» قال أبو سعيد الخدري: فبكى أبو بكر. يخبر رسول الله ﷺ عن عبد ثم قال رسول الله ﷺ: «إن أمن الناس عليّ في صحبته وخيره الله بين أن يؤتية من زهرة الدنيا، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، ويوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد اشتد به الوجع وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، - «هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» - وفي البيت رجال فيهم عمر - فقال عمر: قد غلب عليه الوجع، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «قوموا عني» (4). وأوصى ذلك اليوم ثلاث: أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان والنبي ﷺ مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع صلواته يجيزهم، ولعله الوصية بالاعتصام بالكتاب والسنة، حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات عرفاً (1). بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد. قالت عائشة: فقال النبي ﷺ: «أصلى الناس؟» قلنا: لا يا رسول الله، فذهب لينوء فأغمي عليه، فقال: «أصلى الناس؟» - ووقع ثانياً وثالثاً ما وقع في المرة الأولى من الاغتسال ثم الإغماء حينما أراد أن ينوء - وراجعت عائشة النبي ﷺ ثلاث أو أربع مرات؛ وقال: «إنك فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام (2)؛ ويوم السبت أو الأحد وجد النبي ﷺ في نفسه خفة، فخرج بين رجلين لصلاة صواحب يوسف. مروا أبا بكر فليصل بالناس». الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأجلساه إلى يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبي ﷺ غلماناً، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، وكانت درعه مرهونة عند ﷺ، روى أنس بن مالك: أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر يوم الإثنين - وأبو بكر يصلي بهم - لم يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير. يفجأهم إلا رسول الله ﷺ كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، وهم في صفوف الصلاة، فنكص أبو بكر على عقبيه؛ وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن ثم لم يأت على رسول الله ﷺ وقت صلاة أخرى. دعا النبي ﷺ فاطمة فسارها بشيء، فسألنا عن ذلك - أي فيما أتوا صلاتكم، بعد - فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهله يتبعه فضحكت (2). وبشر النبي ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين (3). ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذي يتغشاه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» (4). فهذا أو انقطع أبهرى من ذلك السم» (1). وكانت تقول: إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقه وريقه عند موته. دخل عبد الرحمن - بن أبي بكر - وبيده السواك، فأمره - وفي رواية أنه استن بها كأحسن ما كان مستنأ - وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وألحقني بالرفيق الأعلى، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى. قال أنس: ما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ (1). ولما مات قالت فاطمة: يا أبتاه أجاب رباً دعاه. ووقف عمر بن الخطاب - وقد أخرجه الخبر عن وعيه - يقول: إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي، لكن

وأقبل ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات(3).  
ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنع حتى نزل، حتى دخل على عائشة فتيمة رسول الله ﷺ،  
فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، قال الله: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ  
الرُّسُلُ ۚ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ۚ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } (3) :  
قال ابن المسيب: قال عمر: والله ما هو(144) قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر،  
ووقع الخلاف في أمر التجهيز وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض: إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي،  
الخلاقة قبل أن يقوموا بتجهيزه ﷺ، فجرت مناقشات ومجادلات وحوار وردود بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة،  
وأخيراً اتفقوا على خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وشغل الناس عن جهاز رسول الله ﷺ، حتى كان آخر الليل - ليلة الثلاثاء - مع  
ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ من غير أن يجردوه من ثيابه، والفضل وقتم ابني العباس، وشقران مولى رسول الله الصبح،  
ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ، فكان العباس والفضل وقتم يلقبونه،  
ﷺ يقول: ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض، فرفع أبو طلحة فراشه الذي توفي عليه، يصلون على رسول الله ﷺ ولا يؤمهم أحد،  
(قالت عائشة: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء(1).